تدبر القرآن

الشيخ/ عمرو الشرقاوي

اسم الدرس: تثوير القرآن
تصنيف الدرس: محاضرات ومقاطع

عناصر الدرس

أحوال السلف مع القرآن 3
مجالس تثوير القرآن 4
إشكالية التدبُّر دون فهم المعنى 6
الخطوة الأولى: ورد تلاوة القرآن الكريم 6
الخطوة الثانية: فهم معاني القرآن الكريم 9
الخطوة الثالثة: عقد المجالس لاستماع وتدبُّر القرآن العظيم 11
الخطوة الرابعة: مدارسة القرآن مع العالمين به 13

تثوير القرآن

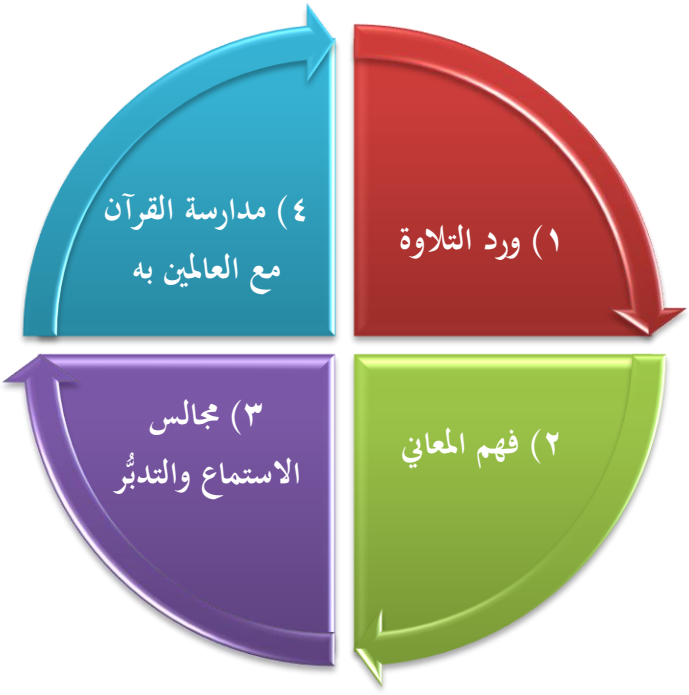

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: 57]

إنه هو البرهان، وإنه هو النور والموعظة والشفاء والرحمة والهدى؛ فلذلك هذا القرآن هو الذي يهدي للطريق الأقوم، لم يقل سبحانه وتعالى يهدي للطريق القويم، أو للطريق المستقيم، بل ﴿يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: 9]، أي: أقوم طريق،

فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أهل القرآن وأن ينفعنا بكلمة أخونا الأخ عمرو الشرقاوي، فليتفضل جزاه الله خيرًا.

السلام عليكم ورحمة الله

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (*) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (*) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 2-4]

والصلاة والسلام على إمام الأتقياء وسيد المرسلين، نبينا محمد صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد،

اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

قد قدَّم الأخ بعض آياتٍ في فضل كتاب الله سبحانه وتعالى، ولا شك أن هذا القرآن أنتم تعلمون جميعًا أن الله سبحانه وتعالى أنزله على نبيه ﷺ بواسطة أشرف ملَك، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (*) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (*) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: 19-21]، وهو سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام.

فربنا سبحانه وتعالى أنزل القرآن الذي هو أشرف الكتب؛ لأن الله تعالى جعله مهيمنًا على الكتب السابقة، بواسطة أشرف ملك وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، على أشرف رسولٍ وهو نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ...

وَأَفْضَـــلُ الخَلْـــق عَلَـــى ٱلإِطْـــلاَقِ   نبِيُّنَـــا فَمِـــلْ عَـــنِ الشِّقَـــاقِ

لأشرف أمةٍ أخرجت للناس، إذا حققت شروط الخيرية.

هذا القرآن أنزله الله سبحانه وتعالى لا لكي يُتلى فقط، ولا لكي يُقرأ هذه القراءة التي تعرفونها بالتجويد، وإنما أنزله الله سبحانه وتعالى **لكي تُعرَف معانيه ويُعْمَل به**.

أحوال السلف مع القرآن

أنا سأبدأ بموقفٍ لرجل أنتم تعرفونه جميعًا، وهو **شيخ الإسلام ابن تيمية** -رحمه الله تعالى-، شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- كان رجلًا من أهل القرآن حقًّا، وقد ذكر عنه الإمام ابن رُشَيِّق في معجم مصنفات شيخ الإسلام الذي نُسِبَ إلى الإمام ابن القيم، ومؤلفه الحقيقي هو الإمام ابن رُشَيِّق، وكان أحد تلاميذ شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- الذين يُحسنون قراءة خط شيخ الإسلام -رحمه الله-، ابن رُشَيِّق كان يحسن قراءة خط شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان خطه سيئًا ليس بجيد، خط شيخ الإسلام كان سريعًا، فكان ابن رُشَيِّق يحسن قراءة خط شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-.

حكى ابن رُشَيِّق في معجم مصنفات شيخ الإسلام أن له تعليقًا كَتَبَه بتفاسير السلف على السور، ثم أعاد كتابته مرةً أخرى بالاستدلال؛ أي: استدل على هذا التفسير للسلف، وكان شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- يستظهر [زاد المسير] للإمام ابن الجوزي، زاد المسير لابن الجوزي -رحمه الله- أحد أهم الكتب المؤلفة في علم التفسير، وهو جامعٌ لأقاويل الناس في التفسير، وكان يستظهر اختيارات الإمام ابن جرير الطبري وهذا واضحٌ جدًّا في تفسير شيخ الإسلام -رحمه الله-، وكان يرجّح بطريقة الإمام أبي محمد عبد الحق ابن عطية صاحب الكتاب العظيم [المُحرّر الوجيز]، وهذا ظاهرٌ جدًّا في كتب شيخ الإسلام.

أن هذه الكتب الثلاثة هي معتمد شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في التفسير:

- **[زاد المسير]**
- وكتاب الإمام أبي محمد **[المحرر الوجيز]**،
- والكتاب الثالث **[جامع البيان]** للإمام أبي جعفر ابن جرير الطبري -رحمة الله تعالى عليهم جميعًا.

بلغ من علمه بالقرآن أنه ظل يفسر سورة نوح سنةً كاملة، **ظل يُفَسِّر سورة نوح سنةً كاملة**، ومع ذلك لما حُبِس -رحمه الله تعالى- في آخر مرةٍ حُبس فيها، المرة التي مات فيها ومُنع عنه كل شيءٍ فلم يبقَ معه إلا القرآن.

وهناك فرقٌ ما بين أن يعيش الإنسان مع القرآن وهو وسط معترك الحياة، وبين أن يُحبَس مع القرآن، هناك فرقٌ كبيرٌ جدًّا بين أن يُحبس الإنسان مع القرآن وبين أن يعيش الإنسان مع القرآن وهو يعيش بين الناس، هناك فرقٌ، فظهر له من معاني الكتاب ما لم يظهر له من قبل حتى أنه ندم -رحمه الله تعالى-، تُرى علامَ ندم؟

قال: **"وندمت على تضييع أغلب أوقاتي في غير معاني القرآن الكريم"**، هذا العلم كله بالقرآن ومع ذلك ندم شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- أنه لم يصرف مزيدًا من وقته إلى القرآن العظيم، وقال: **"وقد فتح الله**

عزَّ وجلَّ علي في هذه المرة من معاني القرآن أشياء كان العلماء يتمنونها" كان العلماء يتمنون أن يصلوا إلى تلك المرحلة من فهم معاني القرآن العظيم.

لذلك القرآن ليس كتابًا عاديًا، من أجلِّ الأشياء التي تقربك من القرآن أن **تفهم معانيه**، لذلك الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله كان يقول: **"وأعجب ممن لم يفهم معاني القرآن، كيف يلتذ بقراءته؟"** يعني: كيف يلتذ بقراءة القرآن من لا يعرف معانيه؟ ولذلك الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم اختلفوا عمن جاء بعدهم في هذا الأمر، أنهم كانوا يدركون من معاني القرآن ما لم يدركه من جاء بعدهم، ولذلك كانوا يستمتعون بقراءة القرآن العظيم.

ممكن الإنسان يستغرب حين يعرف مثلًا أن **عثمان بن عفان** رضي الله عنه، تواتر عنه –كما يقول ابن كثير– أنه **ختم القرآن كله في ركعة واحدة في جوف الكعبة أوتر بها**، يقرأ القرآن العظيم كاملًا من فاتحته إلى الناس في ركعةٍ واحدةٍ يوتر بها في جوف الكعبة! وهذا متواتر عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وأرضاه، لكن يهوِّن عليك الأمر إذا سمعت قول عثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه: **"لو طَهُرَت قلوبكم ما شبعت من كلام الله"**، ولذلك قال عنه الناظم:

بَحْـــرُ الْعُلُـــومِ جَـــامِعُ الْقُـــرْآنِ مِنْـــهُ اسْـــتَحَتْ مَلَائِـــكُ الـــرَّحْمَنِ

... رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

لن تستغرب إذا علمت أن **عُمَر بن الخطاب** رضي الله تعالى عنه وأرضاه كان يعقد **مجالس خاصة بسماع القرآن العظيم**، وهذا السماع هو السماع القرآني الأمثل، وكما يقول عنه شيخ الإسلام في هذا السماع: **"يحصل فيه من المواجيد الشيء العظيم"**، يعني الإنسان يشعر بمواجيد بهذا السماع القرآني، قال: **"وهذا سماع أئمة الأمة وعلمائها"**، أنهم كانوا يجلسون خصيصًا ليستمعوا القرآن، كما كان سيدنا عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى الأشعري: **"أسمعنا كلام الله"**، فيجلس أبو موسى الأشعري –رضي الله تعالى عنه وأرضاه– يقرأ، ويجلس عُمَر بن الخطاب –رضي الله تعالى عنه وأرضاه– ومن معه من الصحابة فيستمعون إلى هذه التلاوة.

مجالس تثوير القرآن

وكان عُمَر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أيضًا يعقد **مجالس خاصة لتثوير القرآن لفهم معانيه**، أنتم تعرفون القصة المشهورة أنه كان يُدخِل ابن عباس رضي الله تعالى عنه وأرضاه في أشياخ بدر، فأحب أن يريهم فضل ابن عباس، فقرأ سورة النصر: ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ [النصر: 1]، فكل واحد فيهم قال قولًا إلى أن انتهى الأمر إلى ابن عباس، فقال: **"ما أُراه إلا أجل رسول الله ﷺ قد حضر"**، فقال عمر

بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه: "**والله ما أعلم منها إلا ما قلت**"، فهذا نوع من أنواع التدبُّر للقرآن العظيم مع أشياخ بدر، ومع هذا الذي حباه الله عز وجل بموهبة خاصة في تفسير القرآن العظيم.

وكانت مجالس التفسير معروفة عند الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. ولذلك قال مثلًا بعض السلف: ذهبت إلى ابن عباس لأتعلم منه التفسير. أي: أنه ذاهب ليأخذ منه علمًا معينًا. وبعضهم كتب التفسير عن ابن عباس ثلاث مرات، وبعضهم تعلَّم من ابن مسعود التفسير، وبعضهم أخذ عن علي، وبعضهم أخذ عن أبي بن كعب، وهكذا.

التفسير كان علمًا عند الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وكان الصحابة يحرصون على تلك المجالس على مجالس تفسير القرآن العظيم. لماذا؟ لأنهم عندما يفهمون القرآن فيلتذون بقراءته، وإذا التذوا بقراءة القرآن، فإنهم سيقتبسون من نوره. وإذا اقتبسوا من نور القرآن، فإنه سيبدد عنهم الظلمات التي قد تجيش في صدورهم، ﴿**قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ [يونس: 57]، هذا القرآن هو الشفاء لما في الصدور.

بعض الناس عليه -في السابق- كان يسهل عليه مثلًا أن يختم كتابًا من كتب الفقه، أو من كتب الحديث، أو من كتب العقائد، أو من غيرها من الكتب، لكن يصعب عليه جدًا أن يختم كتابًا من كتب التفسير.

طبعًا الأمر الآن أصبح أشد صعوبة، فقد كان ذلك في الماضي، أما الآن أصبح يسهل على الإنسان أن يقرأ كتابًا من الكتب الفكرية، ويصعب عليه جدًا أن يقرأ كتابًا من كتب التفسير، ولذلك إذا سألنا سؤالًا مَنْ منا ختم تفسيرًا للقرآن العظيم كله؟ القرآن كله من أوله لآخره ولو كان تفسيرًا مختصرًا يفهم به معاني كلام الله سبحانه وتعالى، مَنْ منا يعقد هذه المجالس للتدبُّر؟ فيجلس مع بعض إخوانه ويتذكَّر آيات من القرآن العظيم، ثم هو يُعمِل فيها فكره، يعرف أولًا أقوال العلماء فيها، وبعد ذلك يحاول أن يستنبط من هذه الآيات شيئًا، وبعد ذلك يحاول أن يثوِّر هذا القرآن، كما قال **عبد الله بن مسعود** رضي الله تعالى عنه وأرضاه: "**مَنْ أراد علم الأولين والآخرين فليثوِّر القرآن**"، وصحَّ هذا القول أيضًا عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

((تثوير القرآن)) هذا المصطلح، أول شيء في تثوير القرآن أن **تعرف معاني القرآن العظيم**، أنك حين تَرِدُ عليك آيةٌ من كتاب الله سبحانه وتعالى؛ تعرف معناها، فهناك آيات نحفظها جميعًا مثل الفاتحة، مثل: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (*) اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾ [الإخلاص: 1-2]، ما معنى ﴿**اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾؟

مع أن هذه السورة كلنا يقرأها.

فأول شيء في تثوير القرآن العظيم أن تعرف معانيه، هذا أول شيء.

إشكالية التدبُّر دون فهم المعنى

في فترةٍ من الفترات انتشر مصطلح التدبُّر، مصطلح ((تدبر القرآن العظيم))، هو شيءٌ حسنٌ محمود، لكن أين المشكلة؟

المشكلةُ أنَّ الناس من الممكن أن يتحمسوا للتدبُّر دون معرفة سابقة، ومن الأمثلة المشهورة على ذلك في التدبر قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: 153]، انتشر في فترة من الفترات ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ أن الغم مثوبة وأن الله سبحانه وتعالى أبدلهم بالغم ثوابًا، وهذا الكلام بعيد كل البعد عن معاني القرآن وعن تفسير القرآن، لم يقل بذلك أحدٌ من العلماء.

أو مثلًا: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: 4]، أي: مالت وحنّت، لم يقل هذا القول أحدٌ من العلماء.

فما هي مشكلة التدبر؟

التدبُّر يكون مشكلةً إذا انطلق المرء من مُسلَّماتٍ خاطئة، إذا بدأ يفهم القرآن بالفَهم العاميّ، هو يعلم لغةً معينة مخزَّنة في عقله، فيبدأ بإسقاط هذه اللغة على القرآن، لا!

القرآن له أصول للفهم،

مثلما أن هناك أصولٌ للفقه لا يجوز للإنسان أن يتجاوزها، وهناك أصولٌ للحديث لا ينبغي لأحدٍ أن يتجاوزها، مثلًا لا ينبغي لأحدٍ أن يصحح ويُضعِّف بهواه هكذا، يسمع حديث لا يعجبه فيقول "ضعيف"، وحديثٌ آخر يُعجِبه يقول "صحيح"، لا يصح، أليس كذلك!

كذلك القرآن، لا يستطيع كل الناس أن يهجموا على كتاب الله، فيقرأ آيةً من كتاب الله سبحانه وتعالى، فينقدح في ذهنه معنىً معينًا، فيسمُّي ذلك تدبرًا للقرآن وينشره، لا، ليس هذا تدبرًا للقرآن.

الخطوة الأولى: ورد تلاوة القرآن الكريم

إذًا أول شيءٍ نريد أن نتصالح به مع القرآن العظيم، أن **نرجع مرةً أخرى إلى قراءة القرآن، أن يكون للإنسان وِرد**، الرسول ﷺ كان له وردٌ من القرآن، وكان إذا فاته حزب القرآن كان يقرأه في الصباح، وكان القرآن والصلاة مرتبطَين عند النبي ﷺ دائمًا، من أول الأمر إلى آخره.

الله سبحانه وتعالى يقول في الآيات التي قرأها الشيخ: ﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (*) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (*) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (*) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (*) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (*) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: 1-6]، ما معنى ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾؟

أشد وطئًا، أي: **أشد مواطئة بين القلب واللسان في الليل**، الإنسان في الليل يكون قلبه حاضرًا، فإذا قرأ القرآن العظيم فإن المعاني يسهل أن تدخل إلى القلب في الليل أكثر منها في النهار وقت الانشغال، ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: 170]، **فمن أراد الصلاح أو الإصلاح** فلابد أن ينطلق من هذين الأصلين:

الأصل الأول ⬅ القرآن،
والأصل الثاني ⬅ الصلاة.

فأول شيء نريد أن نتصالح به مع كتاب الله سبحانه وتعالى **أن نتصالح مع القرآن تلاوةً**،

أن يكون لكل واحدٍ منَّا وِردٌ من القرآن العظيم،
لا يتركه مهما كانت الظروف، ومهما كانت الأحوال.

- الصحابي -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- الذي تركه النبي ﷺ يكلؤهم بالليل، فجاء أحد المشركين فرماه بسهم، ثم رماه بسهم آخر، ثم رماه بسهم ثالث، حتى انفجر جرحه، فاستيقظ عمار بن ياسر -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- وقال: ما بك؟ فقال: **"كنتُ في سورةٍ أقرأُها فلَم أُحبَّ أن أقطعَها حتَّى أُنْفِدَها، فلمَّا تابعَ عليَّ الرَّميَ رَكَعتُ فأذَّنتُك، وايمُ اللَّهِ لولا أن أضيِّعَ ثَغرًا أمرَني رَسولُ اللَّهِ ﷺ بحفظِه لَقَطعَ نَفسي قبلَ أن أقطعَها أو أُنْفِدَها"**[1].

- **أسيد بن حضير** -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- حين كان يقرأ القرآن حتى أن الملائكة تنزلت من قراءته، كان يقرأ سورة البقرة.

- وكان **أبو بكر** -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- رجلًا أسيفًا، إذا قرأ القرآن لم يمتلك عينَيه، يبكي مباشرةً إذا قرأ القرآن العظيم، كان الصحابة لهم ارتباط بالقرآن.

- **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله، في آخر مرة سُجِنَ فيها قرأ القرآن إحدى وثمانين مرة، وفي رواية اثنين وثمانين مرة، وصل في الختمة الأخيرة إلى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (*) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر: 54-55]، ثم فاضت روحه -رحمه الله تعالى-.

[1] الراوي : جابر بن عبدالله | المحدث : شعيب الأرناؤوط | المصدر : تخريج سنن الدارقطني
الصفحة أو الرقم : 869 | خلاصة حكم المحدث : حسن لغيره

وهذا لم يأتِ من فراغ، لكن هؤلاء الناس ارتبطوا بكتاب الله سبحانه وتعالى، ارتبطوا بكتاب الله تلاوةً، كانوا يُقدِّمون القرآن على كل شيء، كل شيء!

قد يضيعُ اليوم كله، لكن لا يترك قراءته للقرآن،

قراءة القرآن لا بُدَّ أن تكون في أشرف الأوقات،

والقرآن كتابٌ عزيز، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: 41]، كتاب عزيز يحتوي على أسرار؛ إذ أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض، **والصاحب لا يعطي صاحبه سره إلا بطول ملازمة**، إن كان لديك صاحبٌ بقدر مصاحبتك له، ستعطيه أسرارَك، أليس كذلك؟

فإذا كنت تصاحبه لبعض الوقت ستعطيه بعض الأسرار، وإذا كنت تصاحِبُه كثيرًا ستعطيه بعض الأسرار، أما إذا كان خليلك وصديقك الصدوق فستعطيه كل الأسرار، وهكذا القرآن ...

كلما طالت صحبتك للقرآن، كلما أعطاك القرآن من أسراره،

كلما طالت صحبتك أكثر، كلما أعطاك القرآن أكثر.

ولذلك قالوا: **"إن ابن عباس –رضي الله تعالى عنه وأرضاه– فسَّر في الحج سورة البقرة لو سمعها الروم والديلَم لأسلموا"**، من جلال تفسير ابن عباس، مجرد فقط أنه فسَّر، مجرد أنه بيَّن معاني القرآن، بيَّن معاني هذه السورة، لو سمعها الناس لكانوا أسلموا من شدة البيان لابن عباس –رضي الله تعالى عنه وأرضاه–، لماذا؟!

لأن ابن عباس كان له ارتباط خاص بالقرآن، وكان كل شيء يربطه بالقرآن، حتى لو سمع شعرًا ... كل شيء يرجعه للقرآن، لما سمع شعر عمر بن أبي ربيعة، وقصيدته هي:

أَمِن آلِ نُعمٍ أَنتَ غادٍ فَمُبكِرُ

لما سمع هذا الشعر، سأله نافع بن الأزرق – وقد كان أحد الخوارج – ، فسأله وقال له: "أسالك في القرآن، وجاء لك أحدهم من قريش فتسمع له القصيدة كلها، وتسمع هجرًا!" أي: تسمع كلامًا فارغًا؛ "هجر"، أي: كلام لا فائدة منه، فقال: **"والله ما سمعت هُجرًا، ولكني سمعتُ كلامًا يعرِّفني كلام الله سبحانه وتعالى"**.

وعندما سمع ابن عباس أعرابيين يتنازعان على بئرٍ، يقول الأعرابي: "أنا فطرتُها"، ففهم معنى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: 1].

ولما سيدنا عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– وإن كان يعني في الأثر بعض القلق– كان سيدنا عمر بن الخطاب على المنبر، فقال: "والله ما أدري قول الله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: 47]" حتى قال له بنو هذيل: "أما سمعت قول شاعرنا –يعنون أبا كبير الهُذلي– تخوُّف العود منها تامكًا .." إلى آخر البيت المعروف، ففهم أن التخوف هنا بمعنى "التنقُّص".

فكانوا يربطون كل شيءٍ بالقرآن، فأول شيء تفعله إذا أردت أن تتصالح مع القرآن؛ أن تتصالح مع القرآن تلاوةً، أن تجعل لك وردًا من القرآن يوميًا، فتقرأ كل يوم شيئًا من القرآن ولو صفحة، هذا النور؛ نور القرآن، سينمو في داخلك،

وإذا نما نور القرآن في داخلك، فإنه سيطرد عنك هذه الظلمات،

التي تكون موجودةً على القلب، لا سيما في هذه الأوقات.

الخطوة الثانية: فهم معاني القرآن الكريم

إذًا هذا أول شيء، ثاني شيء في تثوير القرآن العظيم، ولنجعل المحاضرة تحت عنوان [تثوير القرآن]،

الشيء الثاني في التثوير: أن تفهم معاني القرآن،

قلنا أن الإنسان مستحيل أن يلتذ بالقرآن، إذا لم يفهم معاني القرآن، فكيف يتلذذ به؟! لا يفهم شيئًا، بل يقرأ ما لا يفهمه؛ لذلك قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

للإمام السيوطي –رحمه الله– كتاب **[الإكليل في استنباط التنزيل]** فكرة الكتاب باختصار: أن يأتي بالآيات، ويأتي بالأشياء المستنبطة من هذه الآيات، فاستنبط الإمام السيوطي من هذه الآية عذر كل مُصَنِّف، أي شخص يصنف هذه الآية عذرًا له؛ لأن أي كتاب غير القرآن لا بد أن يكون فيه تناقض واختلاف، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: **"التناقض واقع من كل أحدٍ إلا النبيين"** –صلوات الله وسلامه عليهم– فلذلك تفرَّد القرآن بهذا الأمر.

هل رأيتم شخصًا عندما يفتح أي كتاب يقول: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: 2]؟ لكن حينما يفتح مثلًا الكتاب فيجد المؤلف يقول: "والله وأنا أعتذر عما يقع فيه من قصور، وأي قارئ يجد أي شيء خطأ يصلحه".

وَأَصْلِحِ الفَسَادَ بِالتَّأَمُّلِ ... وَإِن بَدِيهَةً فَلاَ تُغَيِّرِ
إِذْ قِيلَ كَمْ مُصَحِّحٍ سَلِيمًا ... لِأَجْلِ كَونِ فَهمِهِ سَقِيمًا

إذًا كل مؤلف في أول الكتاب قد يعتذر عن أي أخطاء وردت في الكتاب، إلا القرآن، افتتح الله عزَّ وجل أول سورةٍ بعد الفاتحة مباشرةً: ﴿الم (*) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 1-2]، هكذا مباشرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

فالقرآن العظيم أول شيء تفعله أن تقرأ القرآن، وانتبه في هذه القراءة، فمن الممكن أن يتعجَّل الإنسان ويقول لنفسه: "أنا أقرأ ولم أستفد أي شيء" ، بحسب كمية الظلام الموجود في القلب، فيأتي القرآن عليه، ويطرد هذا الظلام شيئًا فشيئًا، فقط عليك بالصبر ...

فتصبر، حتى يطرد القرآن هذا الظلام،

فكلما يطرد القرآن الظلام بداخلك، زادت كمية النور، حتى يكتمل نور القلب بإذن الله سبحانه وتعالى بفضل هذا القرآن العظيم؛ نور ... ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: 174].

إذًا أول شيء في التصالح مع القرآن أو في تثوير القرآن أن يجعل الإنسان له **وردًا خاصًّا من القرآن**، الأمر الثاني: أن يجعل الإنسان له **وردًا في معرفة معاني القرآن**، فمن الممكن أن يأخذ المسلم كتابًا يسير من كتب التفسير، وكم لدينا من كتب كثيرة جدًّا أُلِّفت في التفسير، لمن يريد البداية منها مثلًا:

- كتاب **[التفسير الميسر]**،
- كتاب **[المختصر في التفسير]**؛ كتاب صدر حديثًا لكنه فيه بركة؛ فيه بعض هدايات القرآن، وفيه فوائد من الآيات أصدره مركز التفسير، منها كتاب مثلًا:
- **تفسير الشيخ عبدالرحمن السعدي** -رحمه الله تعالى- تفسير عظيم فيه فوائد،
- منها مثلًا تفسير **[جامع البيان]** للإيجي،
- منها مثلًا **[الوجيز]** للإمام الواحدي.

فمن الممكن أن يقتصر على أي كتابٍ من هذه الكتب حتي لا يشتت نفسه في هذه الكتب، يختار كتابًا ويفهم به المعاني الأولية للقرآن.

وإن أراد أن يزيد يقرأ كتابًا من كتب الغريب؛ غريب القرآن، فهذا القرآن العظيم خُدم خدمات عظيمة، أُلفت كُتب في القراءات، وعلوم القرآن، وهناك في غريب القرآن مؤلفاتٌ كثيرة، ماذا يعني غريب القرآن؟ الألفاظ الغريبة في القرآن العظيم.

فمن الممكن أن يقرأ الإنسان كتابًا من كتب الغريب، من كتب غريب القرآن العظيم مثل:

📖 كتاب **[السراج في بيان غريب القرآن]** للشيخ محمد الخضيري.

وينتفع بغريب القرآن، ويفهم الكلمات الغريبة في القرآن العظيم، التي هي غريبة بالنسبة لنا.

إذًا هذه المرحلة الثانية من المراحل، أمّا المرحلة الثالثة ...

بالطبع الإنسان كلما ازداد علمه بالمعنى؛ ازداد فقهه للآيات، بمعنى إذا اقتصر الإنسان على التفسير الميسر، ليس كمن يأخذ ويتدارس كتابًا متوسطًا من كتب التفسير، مثل كتاب الإمام ابن جُزي -رحمه الله تعالى، الإمام ابن جُزي الكلبي أبو القاسم أحد العلماء الأفذاذ، له تفسير رائع اسمه **[التسهيل لتأويل التنزيل]** للإمام ابن جزي الكلبي -رحمه الله تعالى-، تفسير عظيم من الممكن أن نستفيد من هذا الكتاب فائدةً كبيرةً جدًّا.

وإذا أردت أن تعلو في الأمر، لدينا كتاب **تفسير الإمام ابن كثير**، كتاب **الإمام ابن عطية**، من أهم كتب التفسير الكتب المؤسسة في التفسير، إذا أراد طالب العلم أن يتأسس في هذا العلم تأسُسًا عظيمًا؛ عليه بكتاب الإمام أبي محمد -رحمه الله-، هذا الكتاب مليء بما ينتفع به طالب علم التفسير انتفاعًا عظيمًا جدًّا، وللأسف هو من الكتب التي ليست معروفة لدينا، كتاب الإمام ابن عطية **[المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز]**، هذا الكتاب إن قلت أنه أهم تفسير بعد تفسير [الطبري] لما كنت مبالغًا، أهم تفسير بعد تفسير الطبري هذا الكتاب كتاب [المحرر الوجيز] للإمام ابن عطية -رحمه الله تعالى-.

الخطوة الثالثة: عقد المجالس لاستماع وتدبُّر القرآن العظيم

إذًا أولًا: "تلاوة القرآن الكريم"

ثانيًا: "معرفة معاني القرآن الكريم"

ثالثًا: "عقد المجالس لاستماع وتدبر القرآن العظيم"

لقد ذكرنا أن سيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله تعالى عنه وأرضاه– كان يعقد مجالس خاصة يسمع فيها فقط للقرآن، ماذا كان يفعل؟! يسمع للقرآن، سيدنا أبي موسى الأشعري –رضي الله تعالى عنه وأرضاه– يقرأ وسيدنا عمر بن الخطاب –رضي الله تعالى عنه وأرضاه– ومن معه من الصحابة يستمعون إلى القرآن.

وهذه المجالس كانت تُعْقَد باستمرار، كان الصحابة –رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم– والتابعون من الصحابة –رضي الله عنهم– يعقدون هذه المجالس الخاصة فقط لاستماع القرآن الكريم، لم يكونوا يفعلون أي شيء فيها سوى الاستماع للقرآن الكريم؛

لأن مجرد الاستماع للقرآن هذه عبادة من العبادات،

مجرد فقط أن الإنسان يستمع إلى القرآن العظيم هذه عبادة من العبادات الجليلة، وفيها حديث للنبي ﷺ، عندما قرأ النبي ﷺ على أبي بن كعب ، لما ذهب إلى أبي بن كعب، وقال له **«إن الله أمرني أن أقرأ عليك سورة البينة»**[2].

لذلك وجدت سُنَّة عند السلف تسمى **سُنَّة العرض**، سُنَّة العرض أن يقرأ الشيخ على الطالب الإجازة، الإجازة الحقيقة ليست أن الطالب يقرأ على الشيخ، بل أن الشيخ هو الذي يقرأ على الطالب، هذه هي الإجازة.

لذلك كان جبريل –عليه السلام– هو من يقرأ على الرسول –صلوات الله وسلامه عليه– ثم يقرأ النبي ﷺ عليه القرآن، فكانت هذه السُّنَّة من السنن التي يصح أن نقول إنها سنة مهجورة.

بل من الممكن أن يقول بعض الناس ببدعيتها، فيقول أن هذه بدعة، أن يسمع المسلم القرآن خاصة هذه بدعة! لا، ليست بدعة ولا أي شيء، هذه من سنن الهدي، من سنن النبي –عليه الصلاة والسلام– ومن سنن الصحابة –رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم–.

المجالس الأخرى هي **[مجالس التثوير]**، والتي هي **[مجالس التدبر]**، كان سيدنا عمر بن الخطاب جالسًا ذات مرة، وكان يجمع الشباب، وهذه نقطة هامة جدًّا أيضًا،

أن ترتبط أنت، وتربط غيرك بالقرآن.

---

[2] [عن أبي بن كعب:] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ لأُبَيٍّ: «إنِّي أُقرِئُكَ سورةً». فقالَ له أُبَيٌّ: أُمِرتَ بذاكَ ؟ قالَ: «نَعَمْ». فقَرَأَ: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتابِ والْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً} [البينة: ١، ٢].
الحاكم (ت ٤٠٥)، المستدرك على الصحيحين ٣٠٥٢ • صحيح الإسناد

ماذا كان يفعل سيدنا عمر بن الخطاب؟ يجمع الشباب، ويبدأون بقراءة آية من القرآن، ويأخذ رأي الشباب فيها، يعرف فهمهم لهذه الآية، ففي مرة من المرات قرأوا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة: 207]، فقال ابن عباس كلمة .. قال: "تقاتل الرجلان"، فسيدنا عمر بن الخطاب قال له: ما قلت؟! قال: "قلت: تقاتل الرجلان"، فنهره عمر بن الخطاب، حتى قيل أن ابن عباس حُمَّ لأجل هذه الكلمة، أي: لما نهره سيدنا عمر، سيدنا ابن عباس أصابته الحمى لأجل هذه الكلمة، وبعد فترة قصيرة سيدنا عمر بن الخطاب أرسل إلى ابن عباس فقال :"ما قلت يا ابن عباس؟" فقال "قلت: تقاتل الرجلان، رأيت الأول أعجبته نفسه –كان الأول منتفشًا–، فماذا كانت أول الآيات؟ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: 204]، فأعجبته نفسه، فالثاني أمره بالمعروف، ونهاه عن المنكر؛ ولذلك قال: ﴿مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 207]، فلما أمره بالمعروف ونهاه عن المنكر قتله"، فقال له عمر بن الخطاب: "لله بلادك يا ابن عباس".

انظر إلى أين ذهب الفهم!! ربط الآيات بعضها ببعض؛ لذلك القرآن نظْمٌ واحد، هذه نظرية من النظريات التي يؤول بها القرآن العظيم، تسمى **[نظرية النظم]**، حيث أن القرآن كله نظمٌ واحدٌ، وممن أبدع في هذه النظرية **الإمام الطبري** –رحمه الله– في أول تفسير سورة البقرة له هذا الأمر، ظل يفسر السورة من أولها لآخرها على نظمٍ واحدٍ؛ يبين لك نظم القرآن الكريم، فليس عبد القاهر الجرجاني من بدأها –رحمه الله– لا، الإمام الطبري سبقه إلى هذه النظرية.

فأن تعقد مجلسًا من مجالس [تثوير القرآن]، فتقرأون سويًّا التفسير وتتناقشون فيه، إذًا هذه هي المرحلة الثالثة.

الخطوة الرابعة: مدارسة القرآن مع العالمين به

المرحلة التالية لا شك أن الإنسان يمكن أن يقف عند بعض الأشياء، وهذه من المراحل المهمة جدًّا وهي: **مفاتشة العلماء به؛ مدارسة القرآن مع العالمين بالقرآن**، لذلك سيدنا عمر بن الخطاب –رضى الله عنه– في نفس المجلس، كان يُقرِّب ابن عباس؛ لأنه يعلم أن ابن عباس له خاصية، فقد دعا له رسول الله ﷺ: «**اللَّهمَّ فقِّههُ في الدِّينِ، وعلِّمهُ التَّأويلَ**»[3]، فكان ابن عباس –رضي الله تعالى عنه وأرضاه– أحد أبرز

[3] الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ٢٥٨٩ • صحيح • أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٦٤٥) مختصراً، وأحمد (٢٣٩٧) واللفظ له.

الصحابة –رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم– في علم القرآن العظيم، كان مُقدَّمًا في الصحابة في معرفة معاني القرآن العظيم..

يقول الشاطبي في منظومته الجميلة:

وَإِنَّ كِتَـــابَ اللهِ أَوْثَـــقُ شَـــافِعٍ ... وَأَغْـــنَى غَنَـــاءٍ وَاهِبًـــا مُتَفَضِّـــلَا
وَخَـــيْرُ جَلِـــيسٍ لاَ يُمَـــلُّ حَدِيثُـــهُ ... وَتَـــرْدَادُهُ يَـــزْدَادُ فِيـــهِ تَجَمُّـــلَا
وَحَيْـــثُ الْفَـــتى يَـــرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِـــهِ ... مِـــنَ الْقَـــبرِ يَلْقَـــاهُ سَـــنًا مُـــتَهَلِّلَا

إلى أن قال:

فَيَـــا أَيُّهَـــا الْقَـــارِي بِـــهِ مُتَمَسِّـــكًا ... مُجِـــلاًّ لَـــهُ فِي كُـــلِّ حَـــالٍ مُـــبَجِّلَا
هَنِيئًـــا مَرِيئًـــا وَالِـــدَاكَ عَلَيْهِمـــا ... مَلاَبِـــسُ أَنْـــوَارٍ مِـــنَ التَّـــاجِ وَالْحُـــلاْ
فَمَـــا ظَـــنُّكُمْ بِالنَّجْـــلِ عِنْـــدَ جَزَائِـــهِ ... أُولَئِـــكَ أَهْـــلُ اللهِ والصَّـــفْوَةُ المَـــلَا

وكما يقول الإمام السخاوي –رحمه الله تعالى– في منظومته في متشابه آي الكتاب، والتي سماها **[هداية المرتاب في متشابه آي الكتاب]** يقول في مطلعها:

وَبَعْـــدُ فَـــالْقُرآنُ نُـــورٌ مُشْـــرِقُ ... حَامِلُـــهُ مُسَـــدَّدٌ مُوَفَّـــقُ
وَجَـــاءَ عَـــنْ سَـــيِّدِنَا مُحَمَّـــدِ ... ذِي الخَـــيرِ وَالْـــبرِ الرَّسُـــولِ الْمُرْشِـــدِ
فِي شَـــأْنِ حُفَـــاظِ الْقُـــرَانِ الْمَهَـــرَةْ ... أَفْهَـــمُ مَـــعَ الْكِـــرَامِ السَّـــفَرَةْ
لأَنَّـــهُ فِي صُـــحُفٍ مُطَهَّـــرَةْ ... وَهْـــيَ بِأَيْـــدِيهِمْ كَمَـــا قَـــدْ ذَكَـــرَهْ
فَالْحَـافِظُ الْمُـتْقِنُ قَـدْ سَـاوى الْمَلَـكْ ... فَاسْـتَعْمِلِ الْجِـدَّ فَمَـنْ جَـدَّ مَلَـكْ

فالإنسان لابد أن يستعمل الجد في التعامل مع الكتاب العزيز.

إذًا أول شيء أن يهتم الإنسان بتلاوة القرآن العظيم، الشيء الثاني أن يهتم الإنسان بتدبُّر معاني القرآن العظيم، مثلما قلت لكم يا إخواني، إنه لشيءٌ يُحْزِن أن يبقى الإنسان على طريق الاستقامة سنة.. سنتان.. ثلاثة.. أربعة.. أو خمسة، وهو لم ينه كتابًا من كتب التفسير، هذا خطأ، فكيف؟!

كيف تزعم أنك على طريق الاستقامة وأنت بعيدٌ عن الكتاب العظيم؟!

مع أن هذا الكتاب قال عنه الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: 10]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: 44]، أي:

هذا القرآن هو الذي فيه رفعتك، وهو الذي فيه سعادتك.

ولذلك سيدنا عمر بن الخطاب لما جاءه الرجل فقال له: مَنْ تركت على حرم الله؟ فقال: "تركت عليهم ابن أُبزى"، قال: "وما ابن أبزى؟"، فقال رجلٌ من موالينا، فقال: "تركت على حرم الله رجلًا من مواليكم؟!!" فقال: "يا أمير المؤمنين، إنه حافظٌ لكتاب الله، عالمٌ بالفرائض"، فقال عمر بن الخطاب وبكى: أشهد أني سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهذا الكِتابِ أَقْوامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ»[4]، فربنا رفعه بالقرآن العظيم، وهو رجلٌ مولى من الموالي.

وتجد **عطاء بن أبي رباح**، وهو من كبار المفسرين والفقهاء أيضًا، وكان الشافعي –رضي الله عنه وأرضاه– يفضل عطاء؛ ولذلك عندما سأله أحدٌ، فقال: ممن سمعت؟ فقال: سمعته ممن هو أفضل مني، قال: ومن هو؟ قال: عطاء بن أبي رباح. كان الإمام الشافعي يحب عطاء جدًّا، وعطاء كان أسودًا، أفطس الأنف، مفلفل الشعر، أعرجًا، ويقول البعض أنه كان أعورًا أيضًا، انظر ومع ذلك كان يقال: "لا يفتي في المناسك إلا عطاء"، كان عطاء من أحد كبار العلماء بالتفسير –رحمه الله تعالى ورضي عنه– فربنا رفعه جدًّا بالقرآن العظيم.

🕊 كلما ازداد ارتباطك بالقرآن، كلما ازددت رفعةً 🕊

هذا مُطَّرِد، أي إنسان يتعلَّق بالقرآن العظيم، ربنا سبحانه وتعالى يأخذ بيديه؛ لأنه تعلق بأشرف كلام، وهو كلام الله سبحانه وتعالى، و"كلام الله" هذه كلمة عظيمة، فقد قال الإمام ابن كثير –رحمه الله تعالى: **"إن من فضل الله سبحانه وتعالى، ومن نعمته التي تستوجب الشكر**– وهذا صحَّ عن ابن عباس –، **أنه أقدر البشر على تلاوة كلامه"**، على قراءة كلامه، هذا في الأساس فضل، أنك تقرأ كلام الله سبحانه وتعالى، أن تقرأ القرآن العظيم، ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**﴾ [الإسراء: 9].

الأمر الثاني: أن تبدأ تفهم القرآن الكريم،

الأمر الثالث: أن تعقد المجالس للاستماع للقرآن الكريم، وأحيانًا سبحان الله الإنسان قد يسمع آية تغيِّر حياته، يذكر أحدهم أنه كان يصلي التهجد في المسجد، فيقول :"أنا سجدت، والمسجد في سكون تام في التهجد في رمضان ورفع، فقرأ: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ [القمر: 1] فسمع صيحةً خلفه وهو يقرأ، صاح أحدهم صيحةً عظيمةً، بعد الصلاة يقول للأخ: ماذا حدث؟! قال: أنا شعرت أن القيامة قامت، وهذا الأخ من تلك الساعة حفظ القرآن العظيم في ستة أشهر، بعد هذا الموقف أكب على القرآن

[4] مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٨١٧ • [صحيح]

حفظًا، صار من أتقن الناس في حفظ القرآن الكريم، وحفظ القرآن، ونال إجازة، وأنهى تفسيرين، وحفظ معاني الكلمات، بعد هذه الكلمة، وبعد هذا الموقف، هو استيقظ واستفاق، سمع كلمةً أُلقيت في قلبه مباشرة، ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1].

وهناك قصصٌ كثيرة في هذا الشأن، أن يسمع أحدٌ آيةً من القرآن، وتكون فيها نجاته؛ لذلك لا تستهن بسماع القرآن العظيم أبدًا.

إذًا أول شيء: التلاوة، ثانيًا: الفهم، ثالثًا: مجالس السماع، رابع شيء: العرض، بمعنى أن الإنسان يُكوِّن مجموعة مثلًا يتدارس معها القرآن، وحتى في الحديث: «**ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة**»[5] والله -سبحان الله- يا إخوان تأملوا هذه الألفاظ؛ ألفاظ هذا الحديث، نحن بحاجة إليها بشدة في زمان القلق الذي نعيش فيه، «**إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة**»، والرابعة هي سموًّا وارتقاءً: «**وذكرهم الله فيمن عنده**» ذكرهم الله فيمن عنده بسبب هذا القرآن، بسبب هذا التدارس للكتاب.

آخر شيء **مفاتشة العلماء به**، أن يعرض الإنسان هذا الفهم على العلماء، على أهل القرآن؛ حتى يكون من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته؛ لذلك تجد العلماء .. الناس مثلًا يقرأون ورد؛ هو الورد المعروف **[فمي بشوق]** هذا وردٌ سباعي للقرآن، فمي بشوق كل حرف من الحروف ترمز إلى سورة من السور، يختم عندها القرآن، فلم يكن لدى العلماء أجزاء معينة، لم يختم العلماء بالأجزاء، بل كانوا يختمون بالسور، لكن الآن تجد أشياءً عجيبة، كانوا يندمجون لمعاني القرآن العظيم، لم يكن أحدٌ يسمّع مثلًا ويقف عند جزء ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: 24]، لم يفعل منهم أحدٌ هكذا أبدًا؛ لذلك كان العلماء النبهاء حينما يقرأون .. لا تجد أحدًا منهم يقف عند ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: 24]، لأن ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ تكملة الآية ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ تجده يهتم بالمعاني، يهتم بمعاني القرآن العظيم، فهذه بعض رؤوس الأقلام في فهم القرآن العظيم.

وفي ختام هذا المجلس أرشدكم إلى رجلٍ تحدَّث عن القرآن، وهذا الرجل أيضًا من الناس الذين تستطيع أن تقول أنهم خاضوا تجربة ((الحياة مع القرآن))، وهذه التجربة حوَّلته إلى شيءٍ آخر تمامًا، كان من الناس

---

[5] [عن أبي هريرة:] ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ، يتلون كتابَ اللهِ، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلتْ عليهم السَّكينةُ، وغَشِيَتْهم الرحمةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرهم اللهُ فيمن عندَه
الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الجامع ٥٥٠٩ • صحيح • أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وابن ماجه (٢٢٥)، وأحمد (٧٤٢٧) مطولاً، وأبو داود (١٤٥٥) واللفظ له

المهتمين بالحركة الإسلامية، وكان الرجل عالمًا قامة كبيرة أصوليًّا، والرجل صاحب فهمٍ ثاقب، وهو العلَّامة **الشيخ فريد الأنصاري** -رحمه الله تعالى-.

كان الشيخ فريد الأنصاري -رحمه الله- أحد العلماء الكبار الذين أكثروا، وأطيب جدًّا في الحديث عن القرآن، وله في الحقيقة كتابين أنصحكم بالبدء بهما، الكتاب الأول كتاب **[هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها]**، والكتاب الثاني يُسمى **[بلاغ الرسالة القرآنية]**.

تحدَّث في **[بلاغ الرسالة القرآنية]** عن بعض هذه المعاني التي ذكرتها لكم، بكلامٍ طيبٍ جدًّا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، وأن يقربنا الله سبحانه وتعالى من هذا الكتاب العظيم، وأن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء همومنا، وذهاب همومنا وأحزاننا، وأن يذكّرنا الله عزَّ وجلَّ منه ما نسينا، وأن يعلمنا الله سبحانه وتعالى منه ما جهلنا، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيه عنا،

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله، والحمد لله رب العالمين.